المحاضرة الرابعة والعشرون

. مذهب الواجب

لا ازيد هنا أن أتحدث عن معنى الواجب ولا تمييزاته عن مفاهيم اخلاقية أخرى كالضرورة ، والميل او الرغبة ، والحرية ومعاني ومفاهيم اخلاقية لأننا تحدثنا عنها في صفحات سابقة من هذا البحث ، والذي تقدمه هنا هو مذهب الواجب بشخص الفيلسوف عما نؤيل كانت ، وان كانت هناك الكثير من الشخصيات الفلسفية القديمة والحديثة تندرج تحت هذا المذهب ، لذا نؤكد على اختيارنا الكانت ) كنموذج منتخب . فالأخلاق الفاضلة عند كانت تقوم على فكرة الواجب هذه المتمثلة بالارادة الحرة من أجل تحقيق الفضيلة لذلك يطالب كانت الفرد أن يؤدي واجبة بباعث من تقديره لقانون العقل وليس بوازع من اجل الحصول على اللذة . وربما هذا المنطق وهذه الفلسفة الأخلاقية على وجه الخصوص لا تتفق مع فلسفات اخرى ظهرت في القرن الذي ظهر فيه فيلسوفنا القرن الثامن عشر - ونخص بالذكر فهم الفيلسوف أن العقل هيجل الذي كان يرى الشر . لا أثر له في سلوك الإنسان ، وانما الاشر كله لمشاعر اللذة والألم الذين بهما يميز الخير من السورة ابراهيم - آية : ۳۲ . السورة الفرقان - آية : 3 . ( سورة الرحمن - آية : 1 - 4 ( اسورة مريم - آية : 93 . ( 2 ) , للمزيد حول تفاصيل هذا الموضوع انظر : السيد هادي المدرسي / تهافت النظرية الدارونية . 28

ولذلك يجب أن يكون الحكم في بيان ذلك هو غريزة اخلاقية تحكم على الأعمال تبعاً للشعور باللذة والألم ، وكل عمل فاضل يثير في النفس الاستحسان او الزهو ، كما ان كل عمل سيء يثير في النفس الاستهجان وبهذا نحكم دائماً على اعمالنا واعمال الناس . اما عمانويل كانت ، فقد جعل الخضوع للواجب المطلق مقياس الأخلاق ورفع مقام الانسان فوق قانون اللذة والألم والخضوع للغايات ، ورأى أن الانسانية هي الغاية العليا ولا غاية وراءها . ورفع من شان الضمير الإنساني فجعله مشرع الأخلاق وموحي السلوك ، وكل عمل يعمل بغير وعي الضمير وقوة | الارادة الحرة وصوت الأمر المطلق المجرد عن الغايات هو عمل ليس من الخير في شي ) . وهذا الأمر المطلق من كل قيد او شرط او جزاء سوى ذاته القدسية ، هذا الأمر المطلق هو ما يدعو الى اقامة فعلنا الخلقي على قواعد ثلاثة

: ١ . اعمل على أن تكون الانسانية في نظرات غاية في نفسك لا وسيلة لغاية وراءهاء

٢ . اعمل دائماً طبقاً للمبدأ الذي تستطيع أن تجعله قانونا عاما لا استثنائية فيه .

٣ . اعمل كل ما ترى ان ارادتك الحرة هي الشرع الوحيد له )

. وتتمثل الارادة الخيرة في ارادة العمل وفاقا لمبدأ الواجب في ذاته ، لا انتظار لمنفعة ولا انسياقاً وراء ميل او رغبة وفي هذا خالف ( كانت جميع التجريبين ومع اتفاق الناس على حسبان الارادة الصالحة خيرة في اكل الحالات ، دون النظر إلى نتائجها النافعة حيث لم يقتصر وظيفة العقل على مجرد ايجاد ارادة تكفل تحقيق السعادة ، بل كان يرمي الى ايجاد ارادة تكون خيرا في ذاتها دون حسبان لنتائجها واثارها ، او الارادة الخيرة تتجلى في وضوح متى تصارعت مع رغباتنا ودوافعنا الطبيعية .